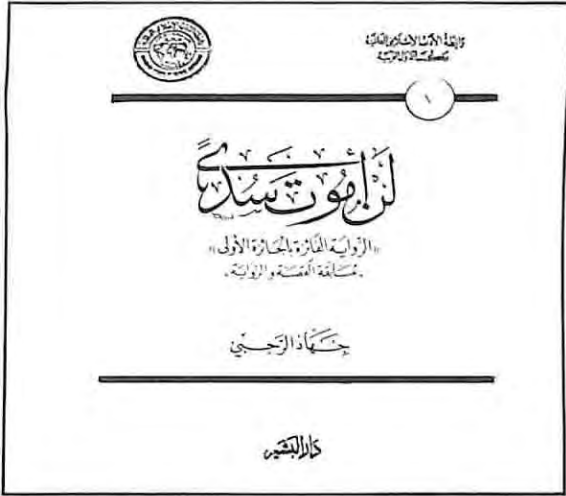


لن أموت سدى

الرواية الفائزة بالجائزة الأولى
في مسابقة القصة والرواية لرابطة
الأدب الإسلامي العالمية

تأليف: جهاد الرجبي
دراسة: عبد الرزاق ديار بكرلي



بشجاعته ونبله، وأحبته، ونشأت بينهما إثر ذلك علاقة حب من نوع ما، وتكررت لقاءاتها، وفي إحدى المرات شاهدها تراقص يهودياً وتبيح له خدها ليقبلها، فما كان منه -وبنوازه الشرقية- إلا أن صفعها وخرج، وكان تصرفه هذا مدعاة لأن تتعلق به هذه الأمريكية أكثر وأكثر، وتدعوه ليلحق بها إلى أمريكا حيث هيات له مستشفى للمعالجة من مرض القلب، ولتتزوجا وليعيشا عمراً سعيداً مليئاً بالحب والإخلاص.

غادر وائل وطنه إلى أمريكا، والتقى في الطائرة بامرأة عجوز كانت جالسة إلى جواره حيث أدار معظم الحوارات معها، ولما وصل وجد كل شيء معداً، لكن عاطفة حب الوطن والإخلاص له كانت هي الأقوى، حيث هرب من المستشفى إلى المطار، وبينما هو هناك وفي يده تذكرته محاولاً تسليمها إلى الموظف المختص عصفت به نوبة قلبية حادة قضت عليه واقفاً، كما تقول الرواية.

ثالثاً- الأحداث والحبكة:

قام عرض أحداث هذه الرواية عن طريق الكر والفرو، فهي تبدأ في حلقتها الأولى ووائل يودع أهله متوجهاً إلى سالم الفتوح الذي يعمل على

من الطبيعي أن تلفت هذه القصة التي نالت الجائزة الأولى انتباه القارئ وتشده إلى متابعة حداثتها وحواراتها، وتأسره في الاستمتاع بسردها القصصي المشوق، فضلاً عن الوصول من خلالها إلى بعض الجوانب التي تستحق الذكر، سواء ما يتعلق من ذلك بها أو بالأدب الإسلامي بعامه.

أولاً- شخصيات الرواية:

- ١ - وائل: شخصية رئيسة ومحورية، وهو بطل الرواية.
- ٢ - أبوه - أمه - جده.
- ٣ - إخوته: (١) علي: شاب متدين وعنده حماسة متدفقة.
- (٢) حياة: أخته الصغيرة.
- ٤ - أحمد: صديق وائل.
- ٥ - عوض: سائق سيارة أجرة فلسطيني محب لأرضه ووطنه.
- ٦ - سالم الفتوح: فلسطيني عميل لإسرائيل.
- ٧ - جين: فتاة أمريكية أحبها وائل وتعلق قلبه بها.
- ٨ - امرأة عجوز مسيحية أمريكية: قابلها وائل في الطائرة، وكانت جالسة بجانبه، ومعها دارت معظم حوارات الرواية.
- ٩ - آخرون: جنود ومحققون...

ثانياً- الحكاية:

تروي هذه القصة حكاية شاب اسمه (وائل) من أسرة فلسطينية عاشت وعاشت معها البطل أحداث الانتفاضة، وشارك فيها، كان البطل محباً لوطنه وأهله، وكان ذا مزاج خاص، فهو شديد التفكير في عواقب الأمور، يتساءل باستمرار عن جدوى رمي اليهود بالحجارة بينما اليهود يقتلون الأطفال واحداً تلو الآخر، كان يشكو من ضعف في قلبه وسبق له أن تعرض في مرات كثيرة للسجن والتعذيب ليعترف بأسماء إخوانه المجاهدين، ولتعاون مع الاستخبارات الإسرائيلية، لكن دون جدوى، إلى أن حاصرت في إحدى عمليات الانتفاضة دورية إسرائيلية، وكان بجانبه طفل صغير، كاد يدهسه اليهود بآلياتهم، لولا أن خاطر بنفسه وأنقذه، هنا شاهدته فتاة أمريكية زائرة (لإسرائيل) حيث أعجبت

تسهيل مهمة سفره، ومن عند سالم انطلق إلى المطار، يلي ذلك حدث ركوبه في الطائرة وبجانبه العجوز الأمريكية التي اتخذت من حوارها معها وسيلة يتذكر بها ماضيه، طفولته، أمه، إخوته، جده، أعماله ضد الاحتلال، مراحل التعذيب، كل ذلك يجري وهو قابع في كرسيه، ينتقل قافزاً إلى الماضي مرة، وإلى المستقبل أخرى.

الماضي بآلامه، والمستقبل بأمواله وسعاده، أعقب ذلك حدث وصوله إلى أمريكا ودخوله إلى المستشفى، وحواره مع (جين) ثم هروبه إلى المطار ناوياً العودة إلى أرض الوطن.

ليس هناك خط واحد متسلسل لعرض الأحداث، وليست هناك خطوط متوازية أو متشابكة تصب في اتجاه واحد، بل تقدم وتأخر، كَرَّ وفَرَّ، مما يشكّل الصورة الكلية للحدث.

أما الحبكة فقد تجلّت بموقفه عندما وصل إلى أمريكا مع حسن الاستقبال ونعموته، ولقائه بحبيته، ودخوله المستشفى، حيث يتوزع الموقف بين أن يغرق البطل في النعيم ويسقط إلى الأبد، أو أن يشده الحنين إلى ثوابته التي تربى عليها، وهنا ذروة الحبكة الفنية حيث يطرح القارئ على نفسه سؤالين هما:

- هل سيسترخي البطل أمام الإغراءات المادية الهائلة، والتمتع بعلاج في أرقى المستشفيات، وهو الذي يعاني من مرض في القلب، ويميل إلى الدعة قرب (جين) ويقطع الصلة بباضيه، فضلاً عن أن يصبح عميلاً، يخدم شبكات الموساد التي تطمح إلى تجنيده؟

- أم سينتصر جانب الخير الذي فيه، ليعود أدراجه إلى وطنه وأتمته؟ وتبدأ الإضاءة عندما تنحدر الأحداث لتنحّل العقدة بهروبه من المستشفى إثر مشاهدته أحداث الانتفاضة في التلفزيون الأمريكي، ومنظر (جنود إسرائيليين يمسكون بشابين ويربطونهما ببعضهما ويضربونهما بالحجارة على الرأس، على الصدر، بين العينين، على المفاصل، أمسك الجنود بأحدهما، ثنوا ذراعه، وبدأوا يحطمون بها بقاعدة البندقية، اقترب وجه الشاب من الشاشة، صراخ الألم يكي في عينيه، ويكابرها! سقطت السجارة من فم وائل، وهو ينظر إلى الشاب غير مصدق!! ستار أسود غطى جدران الردهة ووجوه الناس، قام وائل برعب، اتسعت عيناه، حتى احتوت الشاشة، صاح بغضب: علي! علي! وركع باتجاه الشاشة. (ص ١١٤، ١١٥) وعليّ هو أخوه.

وتستمر الأحداث بعدها في الانحدار السريع نحو النهاية ليموت واقفاً عازماً على العودة إلى أرض الوطن، حيث (ما زال وائل يقاوم، يشد على التذكرة، ويحاول أن ينهض، اقترب منه رجال الإسعاف، نظر إليهم، مدّ يده، حاولوا أن يمددوه على الأرض، قاومهم، نهض وحده رفع التذكرة، دموعه بللتها، أمسك به رجل الأمن، لم يقاوم. ابتسم بارتياح،

والتذكرة تسقط من بين أصابعه... ليموت واقفاً) ص ١١٨ .
رابعاً- هل هذه قصة أم رواية؟

من المعروف أن هذا الفن القصصي ينقسم إلى اقصوصة، وقصة، ورواية، وهي متدرجة من البساطة في الأحداث إلى التشابك والتعقيد.

ففي الرواية تشابك الأحداث، وبعضها يجري في خطوط متوازية وأخرى متقاطعة، مع التعدد في الأبطال والتعقيد في الأحداث، والتشابك في العرض، ووجود عدة عقد صغرى في الرواية، وعدة حلول لها، فضلاً عن وجود عقدة رئيسية كبرى تتجه الأحداث نحوها، وربما صاحب ذلك امتداد واتساع في الرقعة الزمنية بحيث تغطي أكثر من جيل من الزمن.

ومن هذا المنطلق فإن (لن أموت سدى) لا يطلق عليها اسم رواية إلا من قبيل المجاز من باب إدخال القصة والرواية في باب واحد مقابل القصة القصيرة، وهي في أحسن حالاتها لا تعدو أن تكون قصة ليس أكثر، مع أملنا أن تتمكن القاصة من خوض غمار الرواية، وفق الشروط الفنية للرواية، لا سيما عرض القضية الفلسطينية على اتساع المساحتين الزمانية والمكانية، وتجسيد الآلام والأمال على الرقعة الاجتماعية من خلال الأحداث والشخصيات التي تتأثر وتؤثر في القضية الفلسطينية.

خامساً- هل أسهمت هذه القصة في تجسيد ملامح الأدب الإسلامي؟

نعم، لقد أسهمت في ذلك بلا شك، فالقضية التي تسعى الكاتبة إلى طرحها هي إسلامية القضية الفلسطينية، وضرورة الدفاع عن هذه الأرض الغالية، فضلاً عن وجود قيم إسلامية أخرى كثيرة مبثوثة في ثنايا القصة، ومن ذلك: [تقول له العجوز: أنت مع المقاومة الفلسطينية إذن - يجيبها: يسمونه عندنا (الجهاد)] ص ٧٩ .

ويقول عن الموت في ص ٥٩: (الجندي المسلم سيدتي يكون الموت بالنسبة إليه فرصة جديدة للبدء من جديد، تتخطى به حدود الأميَات الصغيرة، أسرته لا تملك الحق في جعله يتردد، فهو يتركها لله مطمئناً، ويسير بخطى ثابتة، أي خوف يمكنه انتزاع جندي مسلم، وهو يرى نهايته بداية حقيقية لأنها طريق الخلود).

وفي الصفحة ٤٩ تقول المرأة العجوز النصرانية: (عندما كنت في مصر سمعت أحد الدروس الدينية، وكنت حديثة عهد باللغة والناس فكان كل شيء يشدني إلى عالم من التأمل، شكل المآذن، صوت المؤذن، الكلمات التي لا تجد صعوبة في التسلسل إلى أعماقك، عندما سمعت كلمة (الله أكبر) سألت الدليل عن معناها، فأجابني وقد استغرقه الأمر وقتاً طويلاً من التفكير «إنها تعني أن الله قوة لا تهزم».

ثم تقول هي ذاتها في الصفحة (٥١): (إن ديناً يعبر عن عمق الإيمان بكلمات بسيطة وحقيقية لا يمكن أن يكون إلا من عند الله، فالله

أقدر على التعبير عن نفسه وعنا، لأننا نحسه ولا نراه).

سادساً- هل ثمة ملاحظات؟

إن النظر إلى هذه القصة يجب أن ينطلق من اعتبار أولي وهو أن الكاتبة ليست من مشاهير القصاصين أو الروائيين، فهي مبتدئة في هذا المجال، هذا أولاً.

وأما ثانياً: فهو أن هذه القصة هي الأولى بالنسبة لما وصل إلى الرابطة من أعمال قصصية وهذا يعني أنها ليست الأولى في مقياس الروايات والقصص المعاصرة التي يبدعها قصاصون ماهرون أو محترفون.

وثالثاً: إن الدعوة إلى تجسيد الأدب الإسلامي وأفكاره في أعمال أدبية ما تزال فكرة وليدة في حد ذاتها، ولم تكثر التجارب في هذا المجال حتى يجتذبا القصاصون الشباب وينسجوا على منوالها.

إن نسبة هذه الأمور تجعل النظرة إلى هذه القصة مقصوداً على هذه المقدمات، منطلقاً منها، ومقاساً بها. وعليه فإن الملاحظات التي بودنا ذكرها تقتصر على ما يلي:

١ - إقحام أمور لا تمت إلى القضية وأحداثها بصلة، بل هي من نبيل الطرح الفكري والفلسفي للأمر، وتقديم النظرة الإسلامية إليها، ولا علاقة لها بأحداث القصة ومجرياتها، ومن ذلك موضوع الخوف والموت ص ٥٦، وفصل المرأة والهزيمة ص ٣٥، فالأول يفلسف فكرة الموت عند المسلمين، وأن الجندي المسلم لا يهاب الموت، لاعتقاده بأنه سينتقل في حال الشهادة إلى جنة عرضها السماوات والأرض، والثاني يعالج فكرة تحرير المرأة، وعملها وما إلى ذلك مما لا صلة بهذا العمل الأدبي الفني، ومكان هذين الفصلين المقالات الإسلامية والفكرية، وتجريد القصة منها يدخل في باب إزالة الزوائد المقلقة عليها.

٢ - لقد دارت أحداث الثلث الأول من القصة على الطبيعة، أما ثلثها الآخران فقد دارا وبطل القصة قابع في كرسية على متن الطائرة، من خلال الحوار مع العجوز تارة، أو من خلال التذكر الذهني، حين يغوص البطل في تاريخه، ويستدعي أشخاصاً وأحداثاً استدعاءً ذهنياً، ويدبر معهم حواراً ما تارة أخرى، مما أفقد القصة الحرارة والفاعلية، وهي أشبه ما تكون بالقصة الذهنية، قياساً على المسرح الذهني، وهذا يعني البرودة في العرض والطرح، والكاتبة في غنى عن ذلك فيما لو سلكت طريقاً آخر لعرض أحداث القصة مباشرة دون تذكر أو استدعاء ذهني، فهي تقول في ص ٨٤: (بدا مرتاحاً للنتيجة، وهو يراقبها بطرف عينيه منهمكة في القراءة، ولكنه سرعان ما أحس بالملل وهو يسير في ذكرياته الحزينة) ونحن كذلك أحسنا بالملل لكثرة الاستدعاءات الذهنية، ولتصور أحدنا نفسه وهو يشاهد مسلسلاً تلفزيونياً كثر تكرار انقطاع الحدث فيه من أجل تذكر أمر ما، ولو حدث هذا مرة أو مرات محدودة لكان الأمر

مقبولاً، أما تكرر ذلك، وقيام معظم أحداث القصة عليه فهو الأمر الذي يشتت ذهن القارئ ويدخل في نفسه الملل والسأم.

٣ - تقول في ص ٧٩ على لسان بطلها وائل: (لم أر في حياتي رجالاً مؤمناً بجمعية الانتصار كجدي) والجمعية فكرة لا تتوافق مع التصور الإسلامي، القائم على الانتصار وفق أقدار الله وسننه التي وضعها للحياة.

٤ - لقد جانبها الصواب حينما أكثرت من استخدام الفواصل استخداماً غير منضبط، فهي تنزع بها هنا وهناك دون اعتبار لنهاية الجملة صغيرة كانت أم كبيرة، فقد لوحظ استخدامها بين المتلازمين كالموصوف وصفته، والحال وصاحبه، والمعطوف والمعطوف عليه، مما يحيل الجملة إلى أجزاء وتفاصيل، ولعلها أو لعل الرابطة تراعي ذلك في الطبعة الثانية لهذه القصة.

٥ - ينبغي على القاصة أن تتمي معرفتها باللغة العربية وقواعدها، وللمثيل على ذلك أشير إلى أنها لا تحسن استخدام الباء حين دخولها على المتروك مع كلمة (استبدل) يقول الله تعالى: ﴿أُتْسَبِّدُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ فالذي هو خير متروك دخلت عليه الباء، فهي تقول في ص (٧٠) السطر (١٦): (لقد استبدل حذيفة المأكولة بقطعتي،

فكرة الأدب الإسلامي في أعمال

الشباب في حاجة إلى دأب شديد

لقد أخذها مني يا أمي) والصواب (لقد استبدل حذيفة قطعتي بقطعته المأكولة). ومن ذلك معرفة كيفية استخدام حروف المعاني بعامية، فهذا الفعل يتعدى بإلى، وآخر يتعدى بالباء ... وهكذا. وثمة أمور أخرى لا مجال لذكرها في هذا الموجز.

سابعاً- جوانب فنية متميزة:

لا شك بأن لدى الكاتبة القدرة الطيبة على صياغة عباراتها وحواراتها وتوليد أحداثها، ومن ذلك: في ص ٩٨ تقول القاصة: (أشاحت بوجهها عنه، ألقت رأسها على المقعد، واكتفت بتلك الكلمات، بينما ابتعد هو بمخيلته هارباً من صدقها: بحث في ذكرياته عن المطر، فأناه ساخناً رغم الصقيع!!).

ومن انتقالاتها الجميلة في ص (١٠٥) حيث تقول: (فتح الباب، تقدم منه جنديان، قال له أحدهما وهو يصوب سلاحه نحوه:

- ها.

- إلى أين؟

- إلى الجحيم.

ابتسامه باردة غطت وجهه ... رفع جسده عن الأرض، وتبعهما،